

المحاضرة الخامسة عشرة المشترك اللفظي عند القدماء

تأليف القدماء فيه:

ظهرت في اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة تعالج ظاهرة المشترك اللفظي وهو اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى:

- أ. فمنه ما اتجه إلى دراسته في القرآن الكريم.
- ب. ومنه ما أتجه إلى دراسته في الحديث النبوي الشريف.
- ج. ومنه من اتجه إلى دراسته في اللغة العربية ككل وأقدم ما وصلنا من كتب يدخل تحت النوع الأول، ومن ذلك:

١. وجوه النظائر أو (الأشباه والنظائر) في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفي سنة ١٥٠ هـ . وقد حققه الدكتور عبد الله شحاته على نسخة فريدة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة عن نسخة خطية محفوظة بإحدى مكتبات تركيا.

٢. الوجوه والنظائر في القرآن لهارون بن موسى الأزدي الأعور المتوفي سنة ١٧٠ هـ. وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة Chester Beatty، وهي المخطوطة رقم M S.3334، مؤرخة في ٢٠ من محرم عام ٥٣٣ هـ، وهي من رواية أبي نصر مطروح بن محمد بن شاكر عن عبد الله بن هارون عن أبيه^(١).

(١) انظر فهرس مكتبة تشيستر بيتي، ومقالاً للبروفسر أبري بعنوان:

وأما كتاب كراع(علي بن الحسن الهنائي، ت ٣١٠هـ) فيحمل اسم ((المنجد في اللغة)). وورد اسمه في كتب التراجم((المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه))، والتجيد في اللغة التزيين.

وقد بدأ الكتاب بمقدمة قصيرة تحدثت عن منهج المؤلف، وتلا ذلك المادة اللغوية موزعة على أبواب ستة على النحو التالي:

١. الباب الأول: في ذكر أعضاء البدن من الرأس الى القدم.
 ٢. الباب الثاني: في ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام.
 ٣. الباب الثالث: في ذكر الطير، الصوائد منها والبعاث وغير ذلك.
 ٤. الباب الرابع: في ذكر السلاح وما قاربه.
 ٥. الباب الخامس: في ذكر السماء وما يليها.
 ٦. الباب السادس: في ذكر الأرض وما عليها.
- ورتب المؤلف كلمات الباب الأخير - لكبر حجمه - على حسب أوائلها وثنانيتها، بغض النظر عن كون الحروف أصلية أو مزيدة. فهو مثلاً يضع((أشوه)) في فصل الألف وشوهاء في فصل الشين. ويضع المجاعة(من الجوع) مع المجاعة(من المجمع)..

وترجع قيمة هذا الكتاب الى ما يأتي:

- أ. أنه أقدم كتاب شامل وصلنا في موضوع المشترك اللفظي؛ إذ يحتوي على قرابة تسعمائة كلمة في حين يحتوي كتاب؟أبي العميئل على حوالي ثلثمائة كلمة.
- ب. أنه أول كتاب - في نوعه - تبدو فيه روح النظام، وبخاصة في قسميه الأول والسادس. فعلى الرغم من أن القسم الأول من الكتاب لم يرتب هجائياً، فأنت

تلمح فيه نوعاً من الترتيب المتمثل في البدء بأجزاء البدن العُلْيَا، ثم النزول شيئاً فشيئاً حتى القدمين: اما القسم السادس فمرتب ترتيباً هجائياً، كما سبق أن ذكرنا.

ج. إنه من أوائل الكتب اللغوية التي راعت في ترتيب المادة اللغوية صورة الكلمة التي تنطق عليها لا جذرها. كما أنه من أوائل الكتب التي راعت ثواني الكلمات ولم تقتصر على أوائلها كما فعل أبو عمرو الشيباني في معجمه الجيم.

د. إن كثيراً من مادته مأخوذ من مراجع قديمة لم تصل إلينا. ولذا يُعد كتاب كراع أقدم مصدر لها. ويفسر هذا كثرة ما روى عن كراع وحده في كتب اللغة، كقول ابن منظور: الجنية صوف الثنى عن كراع وخده. وقوله: قال كراع: بهراء ممدود قبيلة، وقد تقصر قال ابن سيده: لا أعلم أحداً حكى فيه القصر إلا هو^(٢).

هـ. أنه يحتوي على مجموعة لا بأس بها من التعبيرات المحلية، وبخاصة تلك المنسوبة إلى الجنوب العربي وطنه الأول، ولمصر وطنه الثاني. فمن الأول قوله: الواقف بلغة أهل اليمن: القدم، وقوله: المقود: الأنف عند أهل اليمن. ومن الثاني قوله: رف الحاجب: اختلج ، وقوله: فحم الصبي بكى حتى ينقطع صوته.

اما علماء الأصول فقد اثاروا جدلاً كبيراً حول هذه الظاهرة وتفرقوا شيئاً

وأحزاباً:

(٢) ومثل هذا ما ورد في المراجع من قولها: ((حكاها كراع))، أو ((ولم يحك من سواء)) أو ((وأنشد كراع)) أو ((لم يحكه غيره)) أو ((لو يقلها أحد غيره)) أو ((ولا أعرفها عن غيره)). (أنظر مقدمة المحققين لكتاب المنجد).

١. فمنهم من قال بوجوب وقوعه، وحجتهم أنه ((لو لم تكن الألفاظ المشتركة واقعة في اللغة - مع أن المسميات غير متناهية والأسماء متناهية ضرورة تركيبها من الحروف المتناهية - لخلت أكثر المسميات عن الألفاظ الدالة عليها مع دعوة الحاجة إليها)).

٢. ومنهم من قال باستحالة وقوعه عقلاً بدعوى ((إخلاله بالتفهم المقصود مع الوضع لخفاء القرائن)). وتقريب وجهة نظرهم أن الواضع الحكيم لا يمكن أن يقدم على عمل لا يستهدف من ورائه غاية. والغاية الحكيمة المترتبة على الوضع هي تهيئة وسائل التفاهم بين أفراد المجتمع. وبما أن جعل اللفظ الواحد لأكثر من معنى مع خفاء القرائن مما يخلُ بتحقيق هذه الغاية فلا يعقل أن يقدم عليها الواضع بحال^(٣).

٣. والأكثرين على إمكان وقوعه لفقدان الموانع العقلية، وعلى وقوعه فعلاً^(٤). وكتب اللغة مليئة بهذه الألفاظ، بل ما من مادة من المواد إلا ويذكرون لها عدة معان على سبيل الاشتراك اللفظي. وكل شبهة تثار على خلاف هذا ينقضها الواقع الذي نلمسه في جميع اللغات. فهي أقرب الى الشبهة في مقابل البديهة^(٥).

(٣) الاشتراك والترادف - محمد تقي الحكيم، ص ٧٦-٨٠، و المزهري: ٣٦٩/١.

(٤) قال في المزهري: الأكثرين على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين.. وهذا على أن اللغات غير توفيقية، وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة... والأكثرين أيضاً على أنه واقع لنقل أهل اللغة (٣٦٩/١).

(٥) الاشتراك والترادف .